الفصل الرابع

١- ضـــوابط الـــتكفير

٢- مـــسئولية الجـــوارح

٣- زكـــــاة العلـــــم

٤- ومـــــساكن طيبـــــة

١- ضوابط التكفير

يثبت دين الإسلام لمن نطق بالشهادتين، فمن قالهما فهو مسلم حرام الدم والمال فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ"[رواه البخاري، الحديث٢٤]، وهذه قاعدة عظيمة وأصل أصيل في أبواب الإيمان أن "من ثبت إسلامه بيقين لم يزل عنه بالشك"[١]

باء بها أحدهما.

وحتى يحفظ الله على المسلمين إسلامهم أن ينتهك من قبل جاهل أو غافل أو متجرئ على حرمات المسلمين، فقد حرم أن يكفّر مسلم آخر بلا حجة لا شبهة فيها، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال " أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا"[رواه البخاري، الحديث ٥٦٣٩] وفي رواية: " إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا" [رواه مسلم، الحديث٩١]، بل جعل الرسول ﷺ الامتناع عن هذه الجريمة(جريمة التكفير) من أصول الإيمان، فعن أنس بن مالك ﷺ قال. قال رسول الله ﷺ:"ثَلاثٌ مِنْ أَصْلِ الإِيمَانِ الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَلا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ وَلا نُخْرِجُهُ مِنَ الإِسْلامِ بِعَمَلٍ وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلا عَدْلُ عَادِلٍ وَالإِيمَانُ بِالأَقْدَارِ"[رواه ابو داود، الحديث٢١٧٠]

---

١ - أحمد عبد الحليم بن تيمية، جـ ١٢، ص ٤٦٦

ودلك لأن التسرع في التكفير أمر خطير على صاحبه وعلى المجتمع وعلى الدعوة، قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي "والذي يسعى أن يميل المسلم إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة[1] من دم مسلم[2]

لا تكفير برأي أو معصية:[3]

أوضح القرآن الكريم أن المرء لا يُكفّر بالمعصية ما دامت دون الشرك الأكبر، بل إن رحمة الله ومغفرته تشمل تلك المعاصي بمشيئته تبارك وتعالى، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[4]

أما الأحاديث فكثيرة، منها ما رواه سلمة بن نعيم قال. قال رسول الله ﷺ."مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ"[رواه احمد، الحديث ١٧٥٦٨] كذلك لا يُكفر مسلم بسبب رأي خطأ قاله في مسألة اجتهادية تحتمل وجهات نظر سواء أكانت في عقيدة أو فقه، قال رسول الله ﷺ."إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ"[رواه ابن ماجة، الحديث ٢٠٣٥]، ويعلق على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول."وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية ومازال السلف يتنازعون في كثير من هذه

---

١ – أي قارورة أو اناء صغير من دم

٢ – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص١٥٧

٣ – انظر بتصرف في رسالة المعالم، ص١٥٧

٤ – من الآية ٤٨ من سورة النساء

المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية"[1].

متى يَكْفُر المسلم؟

أوضح العلماء جملة أسباب من أتى شيئًا منها كان مستحقًا للتكفير.

١- الإقرار بكلمة الكفر.

كأن يقول إنه يكفر بالله، ولا يقر برسالة محمد ﷺ فمثل هذا قد حكم على نفسه، فلا حظَّ له في الإسلام.

٢- إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة:

هناك أمور متواترة قطعية مشهورة معلومة للأمي والعالم بلا بحث ولا اجتهاد، وذلك كوجوب الصلاة ووجوب الزكاة، وتحريم الزنى، فمن أنكر ذلك الوجوب أو التحريم فقد خرج من دائرة الإسلام

٣- تكذيب صريح القرآن

القرآن هو أصل الأصول في الأحكام لكل مسلم، فمن كذب شيئًا دل عليه القرآن بكل صراحة ووضوح لا لبس فيه ولا احتمال، كأن ينكر أن هناك نبيًا اسمه إبراهيم أو إسماعيل أو صالح أو هود، أو ينكر وجود مخلوقات من الجن والشياطين فهو كافر

٤-التفسير الباطل بكل حال

القرآن الكريم نزل بلغة العرب، فهو بهذه اللغة يفهم لا بسواها، فمن أعرض عن تفسير القرآن بالقرآن وبسنة رسول الله ﷺ، وأقوال الصحابة الكرام ﷺ،

---

١ - أحمد عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ٣، صـ٢٢٩

ولعة العرب، وأحد يفسره هواه فليتبوأ مقعده من النار، ومن اتخذ هذا الأسلوب ذريعة ليبكر الثابت، ويثبت المنفي، ويحل الحرام، ويحرم الحلال فهو كافر متبع لهواه لا مؤمن عابد لله .

وذلك كأن يفسر نعيم الجنة وعذاب النار بأنها أمثال وخيال ومعنويات وروحيات وليست بحقائق ثابتات.

وكأن يفسر خاتم النبيين بمعنى آخر النبيين، وهذه التفاسير الواهية الباطلة نجد كثيراً منها عند المارقين من أتباع المذاهب ضيعة الاستعمار كالقاديانية والبهائية والعلمانية، وغيرها[1] .

٥- إتيان عمل لا يحتمل إلا الكفر.

وذلك كمن يفر إلى الكفار ويعاونهم ضد الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[2]

وكأن يستهزئ بالله وآياته ورسوله والإسلام

وفي هذا يقول الأستاذ الإمام." ولا نكفّر مسلمًا أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض -برأي أو بمعصية- إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر"[3].

---

١ - انظر المرجع السابق ص ١٥٨،١٥٩

٢ - من الآية ٥١ من سورة المائدة

٣ - الإمام الشهيد حسن البنا، رسالة التعاليم، ص٣

التفرقة بين النوع والمعين

هنا أمر يجب أن نلفت النظر إليه، وهو ما قرره المحققون من العلماء من وجوب التفرقة بين الشخص والنوع في قضية التكفير

ومعنى هذا أن نقول مثلاً: المستهزئون بكتاب الله فهم كفار، فهذا حكم على النوع .

وإذا تعلق الأمر بشخص معين ينتسب إلى هؤلاء وجب التوقف للتحقق والتثبت من حقيقة موقفه، بسؤاله ومناقشته، حتى تقوم عليه الحجة وتنتفي الشبهة وتنقطع المعاذير

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" إن القول قد يكون كفرًا فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال من قال هذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها"[1].

وإذا كان كل هذا الاحتياط في شأن المصرحين بالكفر، فكيف يجترئ مسلم على تكفير الجماهير التي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إن خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا[2]؟

مرض نفسي:

فالرغبة في تكفير الناس والانتقاص منهم، وترويج التهم حولهم، مرض نفسي بالغ الخبث، وأصحابه يتناولهم -بلا ريب- الوعيد الإلهي.﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[3]

---

١ – أحمد عبد الحليم بن تيمية، المسائل الماردينية، نقلا عن دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين للشيخ محمد العرالي، ص[١٧٢ – ١٧٣]

٢ – دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين للشيخ محمد العرالي، ص١٧٣

٣ – من الآية ١٩ من سورة النور

فالذي لا يحس التثقيف في حسات نفسه لاكتشاف عللها لا يصلح داعيًا ولا مربيًا، والذي يرمي الناس بالكفر ويتعاصى عن جهادهم والشماتة في أخطائهم هو امرؤ مريض الفؤاد

والتصاق هؤلاء المرضى بالإسلام أو تصدرهم في ميدانه لا يعني عنهم شيئًا، فإنهم في الحقيقة عرضاء عليه، وعقبات أمامه أو عش في مرآته[1].

واجب عملي.

يتم التحذير من انتهاك حرمة إيمان المسلم أو دمه أو عرضه في المحاضرات العامة من مسجد أو مدرسة، وكذلك مدرجات الكليات والمعاهد أو الندوات العامة أو الخاصة، فعليا حماية المسلمين جميعاً

*****

١- انظر محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، ص١٧٦ بتصرف

٢- مسئولية الجوارح

الجوارح جمع جارحة، وسميت بذلك لأن الإنسان يجترح بها، أي يكسب، وتتضمن العينين والأذنين والفم واللسان واليدين والفرج والرجلين، وهي كل الأدوات التي يستخدمها الإنسان ليحيا في معاشه الدنيوي، والقائد المدبر لكل هذه الأدوات هو القلب والعقل.

أدوات الإعمار:

وباعتبار أن الإنسان مكلف بتعمير الأرض كما قال تعالى."هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"[1] ولن يتأتى له هذا التعمير إلا بجوارحه التي وهبها الله إياه، هذا الاعتبار فإن تلك الجوارح تصبح لها من الأهمية بمكان، فهي سبيله لتنفيذ ما كلفه الله به، وبدونها لن يكون هناك تعمير، فكيف سيزرع الإنسان الأرض الشاسعة بدون هذه الجوارح، وكيف سيسخّر طاقات الأرض وحاماتها في الصناعة بدون الجوارح، وكيف سيقوم بمنع الآخرين وخدمتهم بدون الجوارح، بل كيف سيجاهد الكفار بدون تلك الأدوات، فافقد هذه الأدوات لن يتمكن من أدائها بقوة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ"[رواه مسلم، من الحديث٤٨١٦]

كان عنه مسئولاً:

ولأجل هذا كان الإنسان مسئولاً مسئولية كاملة أمام ربه عن رعاية هذه الجوارح، قال جل جلاله "إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

١- من الآية ٦١ من سورة هود

مَسْئُولاً"[1].

الجوارح ومقاصد الشريعة:

مما لا ريب فيه لأي دارس أن الشريعة الإسلامية أقامت أحكامها على رعاية مصالح المكلَّفين، ودرء المفاسد عنهم، وتحقيق أقصى الخير لهم، وهذه المصالح ضرورية أو حاجية أو تحسينية، ويسميها علماء الشريعة "مقاصد الشريعة"[2]، وللجوارح حظ عظيم في دخولها تحت رعاية مقاصد الشريعة، فمثلاً من الضروريات حفظ العقل، ولأجلها شرع تحريم شرب الخمر والمسكرات، ومنها أيضًا حفظ العِرض ولأجلها شرعت الحدود التي تحفظها من الزنى وغيره، وفي الحاجيات شرع القصاص في الأطراف، أي الجوارح، كما شرعت الديات: فدية إتلاف عضو واحد كاللسان والأنف مثلاً فيه دية كاملة، أي أن من أتلف عضوًا من هذه الأعضاء فكأنما أتلف نفسًا، وكذا اليدان والرجلان والعينان والأذنان، وفي المسألة تفصيل في كتب الفقه، والمقصد أن جعل رعاية الجوارح من مقاصد الشريعة له أهميته ومنزلته

رعاية الجوارح:

فإذا كانت الجوارح لهذه الأهمية في شرعنا وجب الحفاظ عليها ورعايتها والاهتمام بها، وأول جوانب هذه الرعاية حفظها من التلف أو الإصابة بالأمراض، أو تركها مريضة دون مداواة، فمن أتلف جوارحه أو تركها مريضة دون مداواة مع القدرة عليها -أي المداواة- فقد ارتكب محظورًا من محظورات

٢- من الآية ٣٦ من سورة الإسراء

٣- انظر تفصيل ذلك في الجزء الرابع من هذه السلسلة

الشرع وترتب عليه الإثم، ويدل عليه ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ" [رواه ابن ماجة، الحديث ٢٣٣٢]، ومن مستتبعات هذه الرعاية حفظ الجوارح من القذر والنجاسات وموالاتها بالنظافة والطهارة، ومن مسائلهم في هذا الباب حرمة التصمخ بالنجاسة[1]، أي تلطيخ اليد ونحوها بالنجاسات، وذلك صيانة للجوارح عن مثل هذا.

رعاية من الآثام:

وأعظم أنواع رعاية الجوارح: رعايتها من الآثام والذنوب والمعاصي، وذلك لما فيها من كفران النعمة، فبدلاً من أن يصرف الإنسان جوارحه فيما يرضي الله شكرًا له على نعمائه، صرفها فيما يعصيه، والخوف كل الخوف من انقلاب النعمة إلى نقمة كما قال جل جلاله: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ"[2]، وأعظم العذاب أن تشهد عليه جوارحه بما اقترف من آثام، ولا يستطيع منعها من شهادتها، قال الله تعالى "حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ*وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ*وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ"[3]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ مِنْ مُخَاطَبَةِ

١- انظر معني المحتاج للخطيب الشربيني، جـ١، صـ٤١١.

٢- من الآية ٧ من سورة إبراهيم

٣- الآيات ٢٠- ٢٣ من سورة فصلت

الْعَبْدِ رَبُّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنْ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إلا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ انْطِقِي قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلامِ قَالَ فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ"[رواه مسلم، الحديث٥٢٧١]، فليحذر الإنسان من الانسياق وراء نفسه الأمّارة بالسوء باحتراح السيئات كما قال رسول الله ﷺ."عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنْ بَنِي آدَمَ كُتِبَ حَظُّهُ مِنْ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ فَالْعَيْنُ زِنَاهَا النَّظَرُ وَالآذَانُ زِنَاهَا الاسْتِمَاعُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْمَشْيُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلامُ وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ وَيُكَذِّبُهُ الْفَرْجُ"[رواه احمد، الحديث٨٥٧٦].

التنـــزّه عن المكروهات:

ومن جوانب رعاية الجوارح التنـــزّه عن المكروهات التي كرهها الـــشرع، والتي تؤدي إلى الوقوع في الحرام، ففي اللسان كثرة الكلام والمزاح، وفي العين النظر إلى ما يكره، وفي اليدين كف الأذى، وفي الرجلين السعي بالباطل، بـــل يدخل في باب المكروهات هنا الإكثار من المباحات بحيث يثقل النفس والروح عن النشاط

الطاعات الباقيات:

فمن شغل جوارحه بطاعة الله فقد أدى ما كلفه الله إياه من تعمـــير هـــذه الحياة الدنيا، وحفظ الأمانات التي ائتمنها الله إياه، ولا يَظُنَّنَّ أحد أن المقـــصود بالطاعات هنا جانب العبادات فحسب، بل إن السير في الأرض وتسخير طاقاتها لخدمة الإنسانية هي طاعة أيضًا، وفي الختام فإن من أيقن بـــالآخرة حاســـب

حوارحه عما اقترفته من سيئات ومكروهات، وأكرهها على فعل الطاعـــات، حتى يُكتب له الفور بنعيم الجنات

واجب عملي:

وحتى يكتب لعلما النفع والقبول تختار بعض الأعمال الـــتي تكتـــسبها حوارحنا ولنحاسب أنفسنا عليها، فلا نثرثر في الهاتف، ونقتصد في مـــشاهدة التلفاز، كما نقتصد في التطلع إلى ما يعرض في المحلات، ثم ندعو غيرنا للحفاظ على الحوارح من الآثام والمكروهات والترامها بالطاعات

*****

٣- زكاة العلم

من حق العلم على العالم أن يعلمه للآخرين، وهذا هو شأن الربانيين الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله[١] ﴿ولَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[٢].

إرث الأنبياء والمرسلين:

فهي تعليم الناس الخير اقتداءً برسل الله تعالى وسيرٌ على درهم، فإنما بعث الله الرسل معلمين لأقوامهم، وآخر هؤلاء الرسل محمد ﷺ الذي حدد الله رسالته في تعليمه الخير للناس حين قال ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[٣]، ويؤكد النبي ﷺ هذا المعنى، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال. "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا" [رواه مسلم، من الحديث ٢٧٠٣] فمعلم الناس الخير يقوم بما قام به رسل الله تعالى، ولذلك يقول النبي ﷺ فيهم "وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ" [رواه أبو داود، من الحديث٣١٥٧].

نفع متعدٍّ:

إن الطاعات التي يمتد نفعها للآخرين خير من التي يقتصر نفعها على صاحبها، فالمقرر أن المتطوعين بالصلاة والصيام والحج والاعتمار والذكر وغير

---

١ - انظر، الدكتور يوسف القرضاوي "الحياة الربانية والعلم".

٢- من الآية ٧٩ من سورة آل عمران

٣ - الآية ١٥١ من سوره البقرة

دلك، يريد عملهم من رصيد حسناتهم ويرفع درجاتهم، ولكن الناس والمجتمع من ورائهم لا ينالون من جراء عبادتهم نفعًا مباشرًا، أما العبادات المتعدية فيعود نفعها على صاحبها وعلى الناس من حوله، ومن أجلّ هذه العبادات المتعدية-إن لم تكن أعظمها على الإطلاق- أن ينفع المرء الناس بعلمه، فيكافأ على ذلك بأن يكون له مثل أجر كل من انتفع بعلمه[1]، فعن معاذ بن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :"مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا فَلَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ"[رواه ابن ماجة، الحديث٢٣٦].وقد روي عن حذيفة بن اليمان ﷺ أنه قال:"فضل العلم خير من فضل العبادة"[2].

ثواب لا ينقطع:

وفضل تعليم العلم وثوابه لا ينقطع بانقطاع الحياة، بل يظل أثره باقيًا ممتدًا ما دام في الناس من ينتفع بهذا العلم مهما تطاولت السنون وتعاقبت الأيام، فعن أبي هريرة ﷺ قال. قال رسول الله ﷺ :"إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[رواه مسلم، الحديث٣٠٨٤]. وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال."سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علمًا، أو أجرى نهرًا أو حفر بئرًا أو غرس نخلاً أو بنى مسجدًا أو ورث مصحفًا أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته"[رواه البزار بسند حسن]

---

١ - د/يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، بتصرف

٢ - رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، وذكره المنذري في الترغيب، والمقصود العبادة الفاضلة أو ما ليس بالفريضة

استغفار ورحمة.

ومن أروع الفضائل التي يحوزها من يعلّم الناس الخير أن تستغفر له جميع الكائنات وتدعو له بالخير، وكذلك الملائكة تستغفر له، بل وأعظم من ذلك أن يناله الله برحمته، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: "ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رسول الله ﷺ: "فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ثُمَّ قال رسول الله ﷺ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ" [رواه الترمذي، الحديث٢٦٠٩]

أفضل الصدقة.

وتعليم العلم للناس صدقة يتصدق بها المرء، بل إنه من أفضل أنواع الصدقات؛ لأن الانتفاع بالعلم خير من الانتفاع بالمال، فالمال يفنى بإنفاق المتصدّق عليه في قضاء حاجاته، أما العلم فيظل باقيًا يُنتفع به في الحياة وبعد الممات[1]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال "أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْمًا ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ" [رواه ابن ماجة، الحديث٢٣٩].

نفع بالخبرات:

ومن صور نفع الآخرين بالعلم التي دعانا إليها النبي ﷺ، أن ننفع من حولنا بما وهبنا الله تعالى من خبرات عملية، فنعلّم من لا يجيد عمله كيف يقوم به، وكيف يتقنه، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال. قلت يا رسول الله أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ

١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي، بتصرف

الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ قَالَ قُلْتُ أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ قَالَ أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا قَالَ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ قَالَ تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ"[1] [رواه مسلم، من الحديث ١١٩].

لا نكتم علمًا

إن كان لتعليم العلم للناس وبشره بينهم فضائل عظيمة، فإن كتمه والامتناع عن بذله لأهله لبخل أو لخوف مفعة من حطام الدنيا أو لإرضاء حاكم أو لغير ذلك يوجب العقاب يوم القيامة، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال." مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" [رواه أبو داود، الحديث٣١٧٣]

فوز ونجاة:

وانطلاقًا من الحرص على الفوز بفضائل تعليم الناس الخير، ونجاة من لجام النار يوم القيامة، فلنجتهد لأنفسنا ما يمكننا أن ننفع به غيرنا من علوم أو خبرات عملية، ثم نضع تصورًا لكيفية نفع الآخرين به كالمشاركة في محو الأمية أو من خلال الدروس المسجدية أو مساعدة الطلاب أو غير ذلك من صور نفع الآخرين بالعلم

*****

١ – الأخرق الجاهل بما يجب أن يعمله، ولم يكن في يديه صنعة يكتسب بها

٤- ومساكن طيبة

وعد الله عباده الصالحين الأتقياء جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وبين لنا أن هذه الجنات ليست مجرد روضة أو بستان بالمفهوم المتعارف عليه، بل إنها قصور وبيوت وخيام تستريح فيها النفوس وتطمئن بها القلوب، وتستلذ بهجتها الحواس والعيون ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]

غُرف من فوقها غُرف:

ومن هذه المساكن الطيبة التي وعد الله عباده الصالحين: غرف من فوقها غرف، طباق فوق طباق، مبنيات محكمات مزخرفات عاليات، قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾[2]، ويصف لنا النبي ﷺ روعة هذه الغرف وجمالها وشفافيتها فيقول: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَدَامَ الصِّيَامَ وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ" [رواه الترمذي، الحديث ١٩٨٤]

خيام من اللؤلؤ:

وفي الجنة خيام ينعم فيها أصحاب الجنة، ولكنها ليست كخيامنا في الدنيا من وبر الإبل أو صوف الأنعام أو غير ذلك، بل هي لؤلؤة واحدة مجوفة عرضها

١- الآية ٧٢ من سورة التوبة

٢- من الآية ٢٠ من سورة الزمر

ستون ميلاً، عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلاً فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ" [رواه الترمذي، من الحديث٢٤٥١] ويقول ابن القيم:"وهذه الخيام غير الغُرف والقصور، بل هي خيام في البساتين وعلى شط الأنهار"[1]

بيت الحمد:

يبنى هذا البيت في الجنة لمن صبر على قبض الملائكة لولده، عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال "إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلائِكَتِهِ قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيَقُولُ قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيَقُولُ مَاذَا قَالَ عَبْدِي فَيَقُولُونَ حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ فَيَقُولُ اللَّهُ ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ" [رواه الترمذي، الحديث٩٤٢]

ولمن بنى مسجدًا:

ومن بنى لله تعالى مسجدًا صغيرًا أو كبيرًا بنى الله له في الجنة مثله، فعن عثمان بن عفان ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ"[رواه الترمذي، الحديث٢٩٢]

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال:"مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ[2] أَوْ أَصْغَرَ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ" [رواه ابن ماجة، الحديث٧٣٠]

وقصر لأصحاب النوافل:

عن أبي أمامة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ:"أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ

---

١ - انظر فيض القدير، شرح الجامع الصغير للإمام المناوي

٢- بيت طائر صغير

لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ"[رواه أبو داود، الحديث٤١٧٦]

وعن سعيد بن المسيب أن نبي الله ﷺ قال:"مَنْ قَرَأَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ بُنِيَ لَهُ بِهَا قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْ قَرَأَ عِشْرِينَ مَرَّةً بُنِيَ لَهُ بِهَا قَصْرَانِ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثِينَ مَرَّةً بُنِيَ لَهُ بِهَا ثَلَاثَةُ قُصُورٍ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذًا لَنَكْثُرَنَّ قُصُورُنَا فَقال رسول الله ﷺ اللَّهُ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ" [رواه الدارمي، الحديث٣٢٩٥]

بناء وتشييد.

فلنحرص على بناء بيوتنا في الجنة بالإكثار من الصالحات، ولنحص من ذكرناه من أعمال صالحات في مقالنا هذا بالإكثار، ولنذكّر من حولنا كما لنتحاور معًا في الجنة إن شاء الله

*****